تجديد وبناء المدن في شمال إفريقيا خلال العصر الأُموي
(41هـ 132ـ هـ / 661 م – 750 م)

محاضر - كلية التربية – جامعة شندي

أ.أبوبكر علي مصطفى جلال الدين

المستخلص :

جاءت هذه الدراسة بعنوان تجديد و بناء المدن في شمال إفريقيا خلال العهد الأُموي (41 - 132- هـ / 661 – 750 م) فبعد أن استقر الأمر للأمويين في مصر وشمال إفريقيا، اهتموا بمدنها بشكل واضح وعملوا على تجديد المدن فيها بل و أنشأوا فيها مدناً جديدة، تهدف هذه الدراسة لمعرفة الأسباب التي أدت لاهتمام الأُمويون بمدن مصر وشمال إفريقيا، وماهي المعايير التي تم بها اختيار المدن في مصر وشمال إفريقيا التي قاموا بتجديدها، والتعرف على المدن الجديدة التي تم بناؤها وكيف تم تخطيط هذه المدن، وقد اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج منها، اهتم الأُمويون ببناء المدن في شمال إفريقيا مثل الفسطاط والقيروان وتونس، بدأ اهتمام الأمويون بتجديد مدينة الفسطاط منذ بداية خلافة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)، ركز الأُمويون في هذه المدن على بناء المساجد مثل مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط والمسجد الكبير في القيروان ومسجد الزيتونة في تونس، واهتموا كثيراً بعمارتها كما اهتموا ببناء دور الإمارة والقصور والأسواق فيها.

Abstract:

This paper came under the title of renewing and building cities in Egypt and North Africa during the Umayyad period (41 AH - 132 AH / 661 AD - 750 AD). After the matter was settled by the Umayyads in Egypt and North Africa, they clearly paid attention to their cities and worked on the renewal of cities in it and even established There are new cities, this study aims to find out the reasons that led to the interest of the Umayyads in the cities of Egypt and North Africa, and what are the criteria by which cities were chosen in Egypt and North Africa that they renewed, and to identify the new cities they built and how these

cities were planned, The study followed the historical, descriptive, and analytical method, and the study reached a number of results, including the Levant became the seat of caliphate and rule in the Umayyad state. The interest of the Umayyads in the renewal of Fustat began from the beginning of the caliphate of Muawiya ibn Abi Sufyan (may God be pleased with him). By building the role of the emirate, palaces and markets in it.

المقدمة :

اهتم الأمويون بتجديد وبناء المدن في مصر وشمال إفريقيا فجددوا عمارة الفسطاط و توسعت المدينة بشكل كبير من الناحية الغربية، وبنو مدينة حلوان واختطوا القيروان قبل بنائها وبنوا تونس، وكان بناء المدن في شمال إفريقيا يرتكز بشكل أساسي على اختيار موقع المدينة وتخطيطها.

تجديد وبناء المدن في مصر وشمال إفريقيا

أولاً: مدن مصر:

مدينة الفسطاط:

أصل التسمية:

الفسطاط في اللغة، ضرب من الأبنية دون السرادق، وقيل هو بيت من الشعر، والفسطاط المدينة أو المصر الذي يجتمع فيه الناس،[1] وتضاربت أقوال الباحثين حول سبب إطلاق اسم الفسطاط على مدينة المسلمين الجديدة بمصر، وقيل إن عمرو بن العاص لما أراد المسير إلى الإسكندرية أمر بفسطاطه أن يرفع، فإذا بيمامة قد باضت في أعلاه، فقال: لقد تحرمت بجوارنا، فأقر الفسطاط في موضعه، فلما فرغ من فتح الإسكندرية، رجع إلى موضع فسطاطه واختط به لكل قوم خطة بنوا فيها، فسُميت بالفسطاط،[2] وقيل إن الفسطاط لفظة عربية تطلق على المدينة ومجتمعها، وقد أطلق المسلمون على المدينة التي أسسوها في مصر اسم الفسطاط بمعنى المدينة كما أُطلق على البصرة أيضا الاسم نفسه سابقاً،[3] ويعتقد البعض بأن كلمة الفسطاط قد اشتقت من أصل يوناني "فسطاطوم/Fostatum" ومعناه المدينة الحصينة فأخذها العرب وحرفوها إلى فساط ثم فسطاط [4].

الموقع ونشأة المدينة:

بنيت مدينة الفسطاط بموضع فضاء ومزارع بين النيل والجبل الشرقي الذي يعرف بجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصين يعرف بقصر الشمع، حيث كانت ترابط الحامية الرومانية [5] يحدها من الشمال فم

الخليج وجبل يشكر، ومن الجنوب ساحل آثر النبي، ومن الشرق سفح جبل المقطم ومن الغرب يحدها النيل [6]، وهي أول مدينة اختطها المسلمون بمصر بعد الفتح الإسلامي سنة 21هـ/642م [7]، حيث أراد عمرو بن العاص بعد فتحه الإسكندرية أن يتخذها حاضرة له، إلا أن الخليفة عمر بن الخطاب لم يوافق على ذلك، وأمره ببناء مدينة جديدة لا يفصله عن الملمين فيها ماء في شتاء ولا صيف، فتحول عمرو من الإسكندرية إلى موضع الفسطاط [8]، شيد المسجد الجامع ودار الإمارة والسوق، وشيدت خطط القبائل حول المسجد الجامع ودار الإمارة على غرار خطط قبائل البصرة والكوفة [9].

الفسطاط وعمارتها في العصر الأموي:

وقد تمثل عمران الفسطاط في العصر الأموي في ظاهرتين أساسيتين، أولأهما، امتداد عمراني للمدينة في الجهة الغربية، وذلك نتيجة انحسار شاطئ النيل الشرقي وما تخلف عنه من طرح النيل عام 69هـ/ 688م، فأضاف إلى المدينة مساحة عمرانية جديدة أقيمت فيها العديد من المباني والمنشآت [10]، وتتمثل الثانية، في قدوم العديد من القبائل والبطون العربية إلى الفسطاط مصاحبة للأسرة الأموية، بالإضافة إلى عملية التوالد والتكاثر المستمرة للقبائل القائمة بالفعل بالفسطاط منذ الفتح العربي، وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه الظاهرة إلى ازدياد في عمران المدينة واتساع في نطاق الخطط وازدحامها بالعمائر [11]. وقد بدأت النهضة العمرانية [12] بالفسطاط في العصر الأموي منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان، حيث قام واليه على مصر عقبة [13] بن عامر الجهني ببناء مقياس [14] للنيل بأرمنت سنة 64هـ/667م، وظل مستخدماً حتى بنى عبدالعزيز [15] بن مروان مقياساً آخر بحلوان سنة 80هـ/699م وكان صغير الأذرع، وفي عام93هـ/711م بنى أسامة [16] بن زيد التنوخي مقياساً آخر للنيل في الطرف الجنوبي من جزيرة الروضة [17]، وهو أكبر هذه المقاييس فلما خرب بنى مقياساً آخر بالجزيرة أيضاً في الجزيرة وكان ذلك في عام 97هـ/716م، كما بُنيت بها أيضا داراً للصناعات البحرية [18]، وفي عام 65هـ/ 682م قام الأمويون بحفر خندق حول مدينة الفسطاط [19]،وإليهم يُنسب إنشاء أول بيمارستان [20] إسلامي في مصر بدار أبي زبيد بزقاق القناديل في الفسطاط [21]. ومن الدور التي شيدها الأمويون بالفسطاط دار الضيافة، وهي التي بناها عبد العزيز بن مروان، وهي تمتد من درب الخشابين إلى الحمام الذي بالخشابين وكان يُنزل بها كبار الزوار وأضيافه المهمين [22]، ودار النحاس [23]، والدار البيضاء [24]، ودار الحصر [25]، وقصر مارية [26]، ومن الحمامات التي شيدوها بالفسطاط حمام السوق الكبير [27]، وحمام سوق وردان [28] ، وحمام سهل [29] . وقد اشتهرت

فترة ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر بالنهضة العمرانية، ففي عام 67ه/686م شرع عبدالعزيز في بناء مدينة حلوان [30] ، بهدف أن تكون متنزهاً له، وليقيم فيها للراحة والاستجمام، ولكن ظهور الطاعون في الفسطاط عام 70هـ، جعله يتخذ من حلوان مقراً للحكم وداراً للإمارة، وكان قد شيد بها القصور والدور وزرع بها البساتين وغرس الكروم والنخل، واسكنها رجاله وأعوانه [31]، وظل بها حتى وفاته سنة 86ه/705م[32] ، وفي عام 69ه/688م ظهر أول طرح للنيل إبان العصر الأموي، فاستغله الأمويون وأهل المدينة من بعدهم في البناء والتشييد عليه [33]، فقام عبد العزيز بن مروان، ببناء قنطرة على خليج أمير المؤمنين [34]، وكتب عليها اسمه، ثم تتابعت الإصلاحات عليها وظلت قائمة حتى القرن الرابع الهجري، فلما انحسر النيل عن ساحل مصر أُهملت هذه القنطرة، وشُيدت قنطرة أخرى عند فم بحر النيل [35]، وبذلك فقد استكملت خطط الفسطاط عمرانها إبان العصر الأموي، إذ وجدت العناصر السكانية الجديدة في الفراغات داخل الخطط مساحات لسكانها، حيث تحولت الفسطاط من نمط المدينة العسكرية، إلى النمط التمدني الذي تحقق باختلاط السكان باختلاف أجناسهم وأعراقهم [36].

المسجد الجامع" جامع عمرو بن العاص":

ويقال له تاج الجوامع، وهو أول مسجد أسس بديار مصر في الملة الإسلامية بعد الفتح [37]، أنشأه الصحابي الجليل عمرو بن العاص ﷺ سنة 21ه/642م، وجاءت عمارة المسجد في بدايتها بسيطة للغاية شأنها في ذلك شأن المساجد الإسلامية في مرحلتها الأولى خلال العهد النبوي الشريف والخلافة الراشدة [38]، ثم أُجريت توسعات بالمسجد وتجديدات إبان العصر الأموي، ففي عام 53ه/672م قام والي مصر مسلمة [39] بن مخلد الأنصاري بهدم المسجد وأعاد بناءه من الناحيتين المعمارية والزخرفية فأصبح بعمارته يتكون من صحن مكشوف وظلة للقبلة، وشيد به أربع مآذن، وفرشه بالحصر، وزين الحيطان والسقف بأنواع الزخرفة، واتخذ له رحبة في الجهة البحرية [40] ، وفي عام 79ه/698م قام والي مصر عبد العزيز بن مروان، بهدم المسجد وأعاد بناءه، فزاد في مساحته من ناحية الغرب وأدخل فيه الرحبة التي كانت من الناحية البحرية [41]، وفي ولاية عبدالله [42] بن عبدالملك تمت تعلية سقف المسجد عام 89ه/707م، ثم توالى قرة [43] بن شريك فقام بهدم المسجد وأعاد بناءه و أدخل فيه دار عمرو بن العاص وابنه عبدالله وجزءاً من الطريق، كما أنشأ به محراباً مجوفاً، ونصب به منبراً خشبياً، وطلى أعمدته بماء الذهب، وجعل له أربعة أبواب، وكان ذلك في عام 93ه/710م [44] ، وبعد أربع سنوات

من ذلك، أي في عام 97هـ/ 715م شُيدت بالمسجد قبة سُميت بقبة بيت المال، لإيداع أموال اليتامى وهي تتوسط صحن المسجد في علو الفوارة، وهي من أواخر التعديلات المعمارية بالمسجد الجامع التي قام بها ولاة الأمويين بمصر [45].

دار الإمارة:

وقد اتخذ عمرو بن العاص من داره داراً للإمارة فلم يتخذ للإمارة دار مخصوصة، واستمر كل أمير من بعده ينزل داره، حيث كانت الدار التي يقيم بها الوالي بمثابة دار الإمارة[46]، وفي مطلع العصر الأموي جعل الخليفة معاوية بن أبي سفيان من دار الرمل [47] داراً للإمارة بمصر [48]، واستمرت هذه الدار حتى قُدوم عبد العزيز بن مروان والياً على مصر سنة 65هـ/684م، حيث اتخذ من داره المذهبة [49] داراً للإمارة، وقد شُيدت هذه الدار في الأرض التي انحسرت عنها ماء النيل تجاه الجامع وقصر الشمع، وكانت على درجة عظيمة من الناحيتين المعمارية والزخرفية [50]، ولفرط سعتها كانت تُعرف بالمدينة [51]، لذا فقد أولاها الأمويون عناية ورعاية فائقة، واتخذوها داراً لإمارتهم بمصر، وظلت على ذلك إلى أن أمر مروان بن محمد بإحراقها أثناء تعقب العباسيين له [52].

الأسواق والقياسر:

اشتهرت الفسطاط عند الجغرافيين [53] العرب بتعدد أسواقها وقياسرها وبنشاط الفعاليات التجارية فيها، فإن أول سوق وضعت خططها في الفسطاط كانت بالقرب من المسجد الجامع وتُعرف بدار البركة [54] ، وبعد توسع المدينة وازدياد سكانها، نُظمت أسواقها وقياسرها بعد أن تزايدت أعدادها حسب اختصاصاتها، وكانت بمعزل عن بعضها البعض، و أُطلق عليها أسماء أرباب الحرف والصنعة التي تباع فيها مصنوعاتهم [55]، ومنها سوق وردان [56] وسويقة العراقيين نسبة إلى جمع من البصريين ممن اتهموا من قِبل زياد بن أبية بتعاطفهم مع الخوارج، فسيرهم نحو الفسطاط، فُسميت هذه السوق على اسمهم [57]، وقد شهدت الفسطاط نمطية من الأسواق في أشكالها وخططها وعمرانها تمثلت بالقيساريات، ففي ولاية الوالي عبد العزيز بن مروان وكانت عبارة عن تجمعات للأسواق والمحلات التجارية [58]، منها قيسارية العسل والجبال والكباش وقيسارية عبد العزيز التي كانت تباع فيها أقمشة البز [59]، وفي عام 108هـ بنى هشام بن عبد الملك قيساريته التي تُعرف باسمه في فضاءٍ بين القصر والبحر، يباع فيها البز الفسطاطي [60]، وقيسارية أبي مرة وقيسارية بن أبي مسيح [61]، ويمثل السوق الكبير أكبر تجمع للأسواق فهو يمتد على طول الشارع الرئيسي من درب المجاير قرب جامع عمرو بن

العاص إلى ساحل النيل على جانبي الطريق وفي الأزقة المتفرعة منه الأسواق الفرعية والقياسر[62] .

ثانياً: مدن شمال إفريقيا:

مدينة القيروان:

أصل التسمية:

اختلف اللغويون في أصل تسمية القيروان، فهناك من يرى بأن الكلمة تعني معظم المعسكر والقافلة من الجماعة [63]، وقد كانت مستعملة في الجاهلية بهذا المعنى [64]، وقيل هي موضع اجتماع الناس والجيش، ومحط إثقال الجيش، وقيل هي الجيش نفسه [65]، وقيل إنها اتخذت من قول عقبة (66) بن نافع لأصحابه "هذا قيروانكم" أي المدينة التي يجعلون بها معسكرهم [67]، وقيل إن لفظ قيروان هو فارسي معرب، وصله كروان أو كربان، ومعناه قافلة أو مراح القوافل [68].

الموقع الجغرافي واهمية المدينة ودوافع تأسيسها:

تعتبر مدينة القيروان من مدن الإقليم الرابع، وتقع في جنوبي جبل واسلات [69]، وهي من حيث الطول 33 والعرض 30 درجة، بأرض صحراء تصلح لجمال العرب، وكانت قاعدة إفريقية في أول الإسلام [70]، وتقع المدينة في بساط من الأرض مديد في الجوف منها بحر تونس، وفي الشرق بحر سوسة والمهدية، وفي القبلة بحر سفاقس وقابس، وأقربها منها إلى البحر الشرقي، وبينها وبينه مسيرة يوم، وبشرقي المدينة سبخة ذات ملح عظيم طيب ونظيف، وبسائر جوانبها أراضي طيبة وكريمة [71] .وفي مطلع العصر الأموي توسعت الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقية، وفي عام 48ه ولى أمير المؤمنين معاوية بن سفيان القائد المجاهد عقبة بن نافع الفهري إمارة إفريقية، كان عقبة آنذاك مقيماً بنواحي برقة [72]، فدعا قبائل البربر [73] إلى الإسلام، وضم من أسلم منهم إلى جيشه وزحف نحو إفريقية ففتحها عنوة [74]، ورأى بعد انتصاره على البربر أن يتخذ مدينة تحمي جند المسلمين وأموالهم من عدوان [75] أهل البلاد المفتوحة [76]، وتكون لهم بمثابة قاعدة عسكرية ومنطلقًا لحملاتهم لاستكمال الفتح الإسلامي ببلاد المغرب والأندلس [77] . فاستشار عقبة أصحابه [78] في اختيار الموضع المناسب لبناء المدينة، فاجتمع رأيهم على أن يكون الموضع وسطيًا، فلا يكون على الساحل فيجعل المدينة عرضة لغزوات البيزنطيين، ولا موغلة في الصحراء، خشية هجوم قبائل البربر المتقلبة الأهواء [79]، وأن تكون قريبة من المراعي لتتمكن إبلهم من الرعي بأمان، [80] وأن لا يفصلها عن مركز القيادة العسكرية في الفسطاط بحر ولا نهر، فيكون الطريق مفتوحًا بينهما لوصول

النجدات والمدد [81]، فوقع اختيارهم على موضع القيروان، وكان على بعد ستة وثلاثين ميلاً من البحر المتوسط، ونحو مائة ميل عن تونس [82]، وتميز الموضع بخصوبة سهوله الزراعية التي تتضمن بعض المحاصيل التي كفل للمقاتلين العرب موردًا غذائيًا مهماً [83]، علاوة على توفر المياه [84]، الأمطار والأودية بالإضافة إلى استخراج المياه من الآبار القريبة [85].

بناء المدينة وتخطيطها:

شرع عقبة بعد استقراره في الموقع في تمهيد المكان للبناء، فأزال الأشجار وأخرج ما فيه من حيوانات وحيات وغير ذلك، وبدأ في تخطيط المدينة وبناء عمائرها، وكان ذلك في سنة50ه/670م [86]، فبنى المسجد الجامع ودار الإمارة وبنى الناس من حولها مساكنهم وجميع المنشآت العمرانية اللازمة لإقامتهم من مرافق عامة وخاصة [87]، وكان دورها ثلاثة عشر ألف وستمائة ذراع [88]، وقد تم تخطيط مدينة القيروان على الطابع الإسلامي المعهود آنذاك، فالمسجد الجامع ودار الإمارة توأمان، يكونان في قلب المدينة، وبينهما يبدأ الشارع الرئيس للقيروان ويسمى باسم السماط الأعظم، ثم ترك عقبة فراغًا حول المسجد ودار الإمارة في هيئة دائرة واسعة، ثم قسمت الأرض خارج الدائرة إلى خطط للقبائل ليكون استمرارًا للشارع الرئيسي إلى نهاية المدينة [89]، وأحيطت المدينة بسور من اللبن والطين بلغت مساحته اثني عشر ميلاً، واستمرت حركة البناء والعمران نحو خمس سنوات، حيث اكتمل بناؤها سنة 55ه/675م [90]. وفي نفس العام وعُزل عقبة بن نافع عن إمارة إفريقية، حيث كان عاملاً تابعاً لوالي مصر، وعُين بدلاً عنه أبو المهاجر دينار، فلم يحب أن ينزل بقيروان عقبة، واختار موقعاً يبعد عنها بقدار ميلين إلى الشمال لينزل به، وبنى عليه مدينته التي سماها تكروان، وأمر الناس بأن يحرقوا قيروان عقبة ويعمروا مدينته، فلما علم الخليفة يزيد بن معاوية بذلك، رد عقبة والياً على إفريقية لا عاملاً تابعاً لوالي مصر، فوصلها في عام 62ه (91) ، وأمر بتخريب مدينة تكروان، ثم عاد إلى القيروان، فأعاد بناءها وأصلح أمرها واستخلف عليها زهير بن قيس البلوي، ثم خرج لمواصلة الفتح حتى وصل المغرب الأقصى [92] .

المسجد الجامع: " الجامع الأعظم:

وبعد أن استقر رأي عقبة وأصحابه على موضع بناء المدينة، أمر برسم الخطط، فاختط المسجد الجامع أولًا [93]، ولم يحدث فيه بناء، وكان يصلي فيه وهو كذلك، واختلف عليه الناس في القبلة [94] فقالوا: " إن جميع أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد فأجهد نفسك في تقويمها" [95]،

وقد امتد المسجد على ساحة واسعة منذ تأسيسه حتى قيل: " لم يبن عقبة مدينة لها جامع بل بنى جامعًا له مدينة" [96]، واستخدم في بناء الجامع مادتي الطين واللبن، ومع تطور القيروان واتساعها وتوافد المسلمين عليها من العرب والبربر، ضاق المسجد الجامع ولم يستمر طويلاً على الهيئة التي بناها عقبة، فتوالت عليه أعمال التوسعات والإضافات المعمارية من قبل الولاة الأمويين، ففي عام74ه/693م قام حسان [97] بن النعمان بهدم المسجد الجامع عدا المحراب وأعاد بناءه من جديد [98]، وحمل إليه ساريتين حمراوين من كنيسة كانت في موضع يُعرف بالقيسارية بسوق الضرب، وجعلها في مقابل المحراب وعليهما القبة المتصلة بالمحراب [99] ، فأصبح شكل الجامع مستطيلًا وبلغ طوله حوالي 125مترًا وعرضه 80 مترًا، ويحوي سبعة عشر رواقًا طولية تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوبي الشرقي، أوسعها وأعلها ارتفاعاً الرواق الأوسط، وتقوم على طرفيه الشمالي والجنوبي قبتان، بالإضافة إلى قبتين أخريين تحللهما بلاطة المحراب العريضة، أما الصحن فهو متسع جدًا وتحيط به أروقة مزدوجة من جميع الجهات، باستثناء الجهة الشمالية حيث تقطع المنارة تلك الأروقة [100] . وفي عام 105ه/ 723م أثناء خلافة هشام بن عبد الملك كتب إليه عامله على القيروان بشر [101] بن صفوان كِتبًا يُعلمه فيه ضيق المسجد الجامع بالناس، و أن بشماليه بستانًا لقوم من فهر، فأمره هشام بشرائه وإلحاقه بالمسجد ففعل وبنى في صحنه ماجلاً [102]، وبنى المئذنة في بئر البستان ونصب أساسها على الماء وهي تقع في منتصف الحائط الشمالي [103]، وتعتبر من أضخم المآذن الإسلامية وأجملها شكلًا، وهي تتكون من ثلاثة طوابق تعلوها قبه مفصصة[104]، وقد اتخذت هذه المئذنة أنموذجاً لمآذن شمال إفريقيا والأندلس، واستمر هذا الطراز من المآذن راسخًا في الشمال الإفريقي طوال العصور الإسلامية [105].

دار الإمارة:

حين أقام عقبة المسجد الجامع أنشأ دار الإمارة وسط المدينة، في الجهة الجنوبية من المسجد أي بالجانب القبلي منه، ولعله ابتناها من اللبن [106]، فقد كانت في غاية البساطة والتواضع، وهو شأن الصحابة والسابقين من المسلمين في بناء دورهم، خاصة أن عقبة كان دائم الخروج للغزو، لا يقيم كثيراً في القيروان [107]، وبقيت هذه الدار منزلاً للأمراء والولاة إبان العصرين الأموي والعباسي حتى ولاية إبراهيم بن الأغلب [108] عام 184ه/ 800م، حيث بنى لنفسه مدينة أطلق عليها اسم القصر القديم بالجانب القبلي لمدينة القيروان، وتبعد عنها بمسافة ثلاثة أميال، ولما انتقل ابن الأغلب إليها خربت دار الإمارة التي بناها عقبة بن نافع بالقيروان منذ تأسيسها [109].

الأسواق:

وبعد أن اختط عقبة المسجد الجامع ودار الإمارة حيث جعلهما بوسط المدينة، فعمرت المدينة واختطت القبائل خططها، وجُعل من الفناء المجاور للمسجد الجامع سوقاً للناس، وقد اتسعت هذه السوق حتى صارت حِلقاً حول المسجد، فارتبطت تسمية أبواب المسجد بخصائص ما يقابلها من هذه الأسواق، ومنها باب الصرافين حيث يقود هذا الباب إلى سوق يجتمع فيها الصرافون [110]، وكذلك باب الصباغين وباب الخاصة الذي يقود إلى سوق التمارين، وباب اللحامين وباب الرماحين وباب الخميس [111]. وقد ازدهرت المحلات التجارية وتوسعت أسواق القيروان إبان خلافة هشام بن عبدالملك، وإليه يُعزى أمر ترتيب وتنظيم الأسواق بها، حيث وزعها توزيعاً مهنياً، فصارت كل سوق متخصصة بنوع من المهن أو البضائع [112]، وكان سماط سوق القيروان متصلاً من جهة القبلة إلى الجوف، ويبلغ طوله حوالي ميلين إلا ثلثا فهو يمتد من باب أبي الربيع إلى المسجد الجامع، ومن المسجد الجامع حتى باب تونس وهي مسافة تقدر بحوالي ثلث ميل، ووصف هذا المجمع بأنه كان سماطاً متصلاً يشتمل على جميع الصنائع والمهن والتجارات [113]. وإلى جانب هذا السوق الكبير كانت هنالك أسواق أخرى متخصصة الأغراض للحرف والصنائع بأطراف المدينة، منها سوق البركة الذي يعرض فيه الرقيق والجواري، وسوق الأحد للمنسوجات الصوفية، وسوق الكتانين وسوق الغزل وهي متلاصقة، وسوق البزارين وسوق الدجاج بجوار باب تونس [114]، كما نُسبت الكثير من الأسواق إلى مؤسسيها أو أصحابها كسوق إسماعيل التي أحدثها إسماعيل بن عبيد الأنصاري في سنة 71هـ، وسويقة المغيرة التي تنسب إلى آل عبدالله بن المغيرة الكوفي أحد كبار المحدثين الوافدين على القيروان، وسوق ابن هاشم المنسوبة لصالح بن حاجب بن هاشم، وسوق اليهود وحوانيت الرهادنة وسوق دار الإمارة نسبة لقربها منها، بالإضافة إلى الخانات التي كانت تستخدم كمخازن للبضائع، وغالباً ما تكون في أرباض المدينة بجوار الأسواق [115]. وظلت القيروان مشهورة بأسواقها وحركتها التجارية الدؤوبة حتى عام 337هـ/948م حيث بُنيت مدينة صبرة المنصورية [116]، وكانت متصلة بالقيروان، ثم نُقلت جميع الأسواق والصناعات من القيروان إلى صبرة، ذلك مما أدى إلى إضعاف النشاط الحرفي والصناعي وحركة التجارة بالقيروان [117].

مدينة تونس:

أصل التسمية:

تونس بالضم ثم السكون والنون تضم وتفتح وتكسر، وقد تباينت الآراء حول أصل اسم مدينة تونس، ويزعم الكثير من الجغرافيين أن اسم تونس

قبل تعمير العرب لها كان ترشيش أو ترسوس، وقد سماها العرب بتونس لأنهم عندما افتتحوا إفريقية كانوا يأخذون قسطاً من الراحة بإزاء صومعة ترشيش نسبة إلى راهب كان يقطن تلك الصومعة، فكان العرب يأنسون بصوت الراهب فأخذوا يقولون إن هذه الصومعة تؤنس، فطغت تسمية تونس على ترشيش [118]، وقيل إنها سميت بتونس نسبةً لجمالها وحسنها، فإن كل من شاهدها وتجول في أنحائها، ورأى حسن موقعها، وما يحفها من الأماكن الخصبة المخضرة، وبحيرتها الجميلة أحس بأنس يملأ قلبه وانشراح في صدره لهذا المكان [119].

الموقع الجغرافي والنشأة:

تقع مدينة تونس على ساحل بحر الروم، جنوب مدينة قرطاجنة [120] على ربوة ذات منحدرات خفيفة متجهة نحو بحيرة تونس شرقاً ونحو سبخة السيجومي غرباً ضمن الإقليم الذي كان يُعرف بإفريقية (121) أو بالمغرب الأدنى [122]. ولقد تباينت الروايات حول مسألة تأسيس مدينة تونس وفيما إذا كانت مدينة قديمة أم محدثة في الفترة الإسلامية، ويقول البعض بأن تونس مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم، عمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها قرطاجنة، وكان اسم تونس في القديم ترشيش وهي على ميلين من قرطاجنة وقد اشتهرت بحصانتها وموقعها الجغرافي المتميز، ويقال لبحر تونس رادس وكذلك يقال لمرساها مرسى رادس، وهي من أصح بلاد إفريقية هواء، ولها غلة فائضة [123] . وتتفق الروايات التاريخية على أن فتح المنطقة التي صارت فيها مدينة تونس قد تم أيام عبدالملك بن مروان الأموي، على يد واليه على إفريقية حسان بن نعمان الغساني، الذي يعود إليه الفضل في استكمال فتح المنطقة ثم تأسيس مدينة تونس، وذلك عندما توجه بجيشه لمحاربة الروم في المنطقة، فطلبوا منه عدم دخول المدينة مقابل أن يضع عليهم خراجاً يقسطه عليهم فأجابهم إلى ذلك [124]، ولما رجع حسان إلى القيروان، رجعت الروم إلى المدينة فاستباحوها، فأرسل حسان إلى الخليفة عبدالملك بن مروان مستنجداً به، فأمده بجيش كبير فقاتل الروم حتى فتح المدينة عنوة، فأحكم بناءها وجعلها رباطاً للمسلمين [125]. وقد اختلف في تاريخ تأسيس المدينة وقيل إنه كان في عام 74هـ/ 693م وقيل في عام 78هـ/697م وذلك أثناء حملته حسان الثانية على قرطاجنة، وهنالك رواية أخرى تقول بأن مدينة تونس قد تأسست سنة 80هـ/699م [126].

المسجد الجامع " جامع الزيتونة [127] ":

تشير الروايات التاريخية إلى أن حسان بن النعمان قد أسس المسجد الجامع بتونس أثناء أول حملة على المنطقة فهو يمثل أول خطة عمرانية

بالمدينة، وقد أعاد بناءه عبدالله بن الحبحاب إبان ولايته على إفريقية في عام 114هـ/732م، وإليه ينسب البعض بناء المسجد الجامع، وذلك لما عرف به من حبه وولعه بالعمارة والبناء، وقد شهدت مدينة تونس نهضة عمرانية واسعة خلال فترة ولايته، حيث قام بإعادة بناء المسجد الجامع وتوسيعه وتزيينه [128]، وجعل دائرة مسقفاً وفي وسطه فضاء قد شُيدت فيه أعمدة خشبية على قدر ارتفاع الجدار، ثم شُدت إليها حبال متينة في حلقات حديدية مثبتة فيها وفي السقوف شداً محكماً، فإذا كان الصيف فإنها تنشر عليها أيام صلاة الجمعة، شِقق كتانية حتى تظلل جميع ذلك الفضاء [129]. ولم يكن المعمار وجماليته الاستثناء الوحيد الذي تمتع به جامع الزيتونة، بل شكل دوره الحضاري والعلمي الريادة في العالم الإسلامي إذ اتخذ مفهوم الجامعة الإسلامية منذ تأسيسه ومازالت تدرس فيها علوم اللغة والتاريخ والفقه [130].

وحدات عمرانية أخرى:

تشكلت الهيئة العمرانية للمدينة في تنظيم عمراني مركزي حول المسجد الجامع ككتلة عمرانية رئيسية في مركز المدينة تضم المسجد الجامع ودار الإمارة والسوق ومن حولها الخطط السكنية التي تمثل الكتل الثانوية واتخذت المدينة تشكيل فراغي غير منظم الحدود قريب من البيضاوي [131]، ويحيط بها خندق وسور ضخم تبلغ مساحته حوالي 21 ألف ذراع، وله خمسة أبواب وهي باب الجزيرة ويقع في الجانب القبلي وهو ينسب إلى جزيرة شريك وكان الخارج منه يتجه نحو القيروان، وفي الجهة الشمالية الشرقية باب قرطاجنة حيث تقع دونه داخل الخندق البساتين والآبار، ومن الناحية الشرقية يقع باب البحر وهو يربط بين المدينة والميناء [132]، وباب المعشوق، وباب السقائين وسمي بذلك لوجود بئر أبي الغفار وهي بئر كبيرة غزيرة الماء، وفي الجانب الغربي باب أرطة أو باب السويقة وتجاوره مقبرة سوق الأحد، وهنالك دون الباب ربض خارج المدينة وملاحة كبيرة يجمع منها ملح تونس [133]. وقد اشتهرت المدينة بفخامة وجمال دورها التي يغلب على بنائها الرخام البديع الصنع [134]، وبكثرة أسواقها ومتاجرها العجيبة وفنادقها وحماماتها، وتتمركز معظم هذه الأسواق حول المسجد الجامع الذي يمثل قلب المدينة، وهي أسواق كلها مغطاة تقريبا في مأمن من الشمس والمطر، وزعت على حسب اختصاصاتها وأشهرها سوق العطارين وسوق القماشين وسوق الصاغة وسوق الغزل وسوق الكتبيين وسوق العرافين وغيرها كثير من الأسواق المنتشرة في أنحاء المدينة [135].

الخاتمة:

كان اهتمام الأمويين بتجديد وبناء المدن في شمال إفريقيا كبيراً، فجددوا مدينة الفسطاط، وبنيت إلى جانب الفسطاط مدينة حلوان التي تحولت لها العاصمة من الفسطاط نتيجة لانتشار الطاعون فيها وكان ذلك عام 70هجرية على يد عبدالعزبز بن مروان، كما بُنيت مدينة القيروان في عام 50 هجرية على يد عقبة بن نافع الفهري الذي جعل منها قاعدة عسكرية للجيوش الإسلامية الفاتحة في بلاد المغرب، ثم بُني فيها جامع الزيتونة الذي أصبح مركزاً لنشر علوم الشريعة الإسلامية في شمال إفريقيا، ومدينة تونس التي تم اتخاذها كقاعدة عسكرية بحرية في شمال إفريقيا.

النتائج:

- بدأ اهتمام الأمويين بتجديد مدينة الفسطاط منذ بداية خلافة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه).
- تمثل عمران الفسطاط في العصر الأموي في ظاهرتين أساسيتين:

(أ) أولهما، امتداد عمراني للمدينة في الجهة الغربية، و أضيفت إلى المدينة مساحة عمرانية جديدة أقيمت فيها العديد من المباني والمنشآت.

(ب) جاءت العديد من القبائل والبطون العربية إلى الفسطاط مصاحبة للأسرة الأموية.

- شيد عبد العزيز بن مروان مدينة حلوان لتكون متنزهاً له، وليقيم فيها للراحة والاستجمام، ولكن ظهور الطاعون في الفسطاط عام 70ه، جعله يتخذ من حلوان مقراً للحكم وداراً للإمارة.
- اختط عقبة بن نافع مدينة القيروان بعد أن اختار بها موقعا مميزا ومن ميزاته أنه بعيد من الساحل لتكون المدينة في مأمن من هجمات البيزنطيين، وأن لا يفصلها عن القيادة العسكرية في الفسطاط بحر ولا نهر.
- اختط عقبة بن نافع المسجد الجامع في القيروان، وقد امتد المسجد على ساحة واسعة منذ تأسيسه حتى قيل: " لم يبن عقبة مدينة لها جامع بل بنى جامعًا له مدينة".
- تم فتح المنطقة التي صارت فيها مدينة تونس أيام عبدالملك بن مروان الأموي، على يد حسان بن النعمان.
- أسس حسان بن النعمان المسجد الجامع بتونس في أول حملة على المنطقة فهو يمثل أول خطة عمرانية بالمدينة.

التوصيات:

- إجراء المزيد من الدارسات النظرية والميدانية التي تعمل على كشف الجوانب المغمورة من التراث الإسلامي الحضاري والمعماري المتعلق بالحقبة الأموية وغيرها من حقب التاريخ الإسلامي.
- على أجهزت الإعلام المرئي والمسموع تسليط الضوء على المدن والعمائر الأموية من خلال

عرض وتقديم أفلام وثائقية وصور وخرائط توضح عظمة وفخامة فن العمارة الإسلامية في بلاد المشرق والمغرب الإسلامي خصوصاً الشامية منها والأندلسي التي مازالت شاهداً حياً على عراقة وفخامة العمارة الإسلامية.

المصادر و المراجع :

(1) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري،1987م ، لسان العرب، ط3،ج11 ،دار صادر، بيروت، ص181.

(2) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص236.

(3) الباشا ، حسن، القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 1969م، ص14.

(4) شكري فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1952م، ص14

(5) المقريزي ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر الحسني العبيدي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، ص286.

(6) الخربوطلي ، علي حسني، الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1960م ، ص307.

(7) عزب ، خالد، الفسطاط النشأة الازدهار والانحسار، دار الافاق، القاهرة، 1998م، ص18.

(8) ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله المصري، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1415هـ، ص91.

(9) عبده ، عبدالله كامل موسى، المسلمون آثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين، دار الافاق العربية، القاهرة، 2004م، ص146.

(10) الحسيني، محمود حامد أحمد، التطور العمراني لعواصم مصر الاسلامية " الفسطاط _ العسكر _ القطائع" حتى نهاية العصر الفاطمي، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار، 1987م، ص192.

(11) نفس المرجع ، ص 192_193.

(12) وهو أبا حماد عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي الجهني، صحابي جليل أسلم بعد الهجرة، كان عالما مقرئا فصحيا فقيها فرضيا شاعرا كبير الشأن، ولي الجد بمصر لمعاوية، توفى بمصر ودفن بها سنة 58 هـ ، الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، 1985م، سير أعلام النبلاء،ط3،ج2، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ص46.

(13) المقياس هو منشأة معمارية مخصصة لقياس نسبة فيضان النيل، وتحذير الناس من قلة المياه ليتزودوا منها ويحتاطوا، أو لوفرتها وقدومها بعد جفاف ليستبشروا بقدوم فصل مطير وفير المياه فيطمئنوا. ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص16.

(14) وهو عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي، ولاه والده مروان صلاة مصر وخراجها سنة 65هـ، و دامت ولايته حتى وفاته في سنة 86هـ. الكندي ، أبى عمر محمد بن يوسف، تاريخ ولاة مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1987م، ص42_ 49.

(15) وهو أسامة بن زيد التنوخي، ولي خراج مصر للوليد وسليمان ابنى عبدالملك بن مروان، وهو الذي بنى مقياس النيل العتيق بجزيزة فسطاط مصر. الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المتفق والمفترق، ج1، دار القادري، 1997م، بيروت،ص153.

(16) وكانت جزيرة الروضة معروفة عند الفتح الإسلامي لمصر باسم الجزيرة لوقوعها في مجرى النيل وبجزيرة مصر، وجزيرة الفسطاط لوقوعها تجاه مدينة الفسطاط وبجزيرة الصناعة لوجود صناعة السفن الحربية بها، وكان بها الكثير من الصناع والملاحين المهرة من أهل البلاد الأصليين الذين أمدت بهم الدولة الاموية دور الصناعة في المشرق والمغرب. عبده ، عبدالله كامل موسى، الأمويون وآثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وإفريقيا، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2003م ، ص266.

(17) الكندي ، ص40-38.

(18) وكان هذه الخندق بالقرافة، وقد دثر وعلى شفيره قبر الإمام الشافعي رضى الله عنه، وكان يمتد من النيل إلى الجبل، حفر مرتين مرة في خلافة مروان بن الحكم، والثانية في خلافة الأمين بن هارون الرشيد. المقريزي: مصدر سابق ، ج2، ص158.

(19) ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر و جغرافيتها، ج1، المكتب التجاري، بيروت، د.ت، ص99.

(20) بيمارستان الجمع بيمارستانات: مشفى؛ محلّ معدّ لإقامة المرضى فيه ومعالج , www.almaany.com .

(21) ابن دقماق ، مصدر سابق ، ص11.

(22) وكانت هذه الدار من خطة الأزد، فاشتراها عمر بن مروان وبناها وظلت في يدي بنيه حتى سنة 308هـ/920م، ثم صارت إلى شمول الإخشيدي فحولها إلى قيسارية وحماماً. الحسيني ، مرجع سابق، ص220.

(23) وهي الدار التي بناها مروان بن الحكم، عندما قدم مصر، فقال: ما ينبغي للخليفة أن يكون ببلد لا يكون له بها دار، فبنيت له في شهرين، بصحناً بين المسجد و دار عمرو بن العاص، كانت مربطاً لخيل المسلمين. ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص107.

(24) وتعرف بدار الأنماط القديمة، وهي خطة لابن أبى ذر جندب بن جنادة الغفاري رضى الله عنه، فاشتراها منهم عبدالعزيز بن مروان ووهبها لابنه سهيل بن عبدالعزيز. ابن دقماق ، مصدر سابق، ج1، ص7.

(25) وقيل أن هذا القصر كان خطة لابن رفاعة الفهري فوهبه لعبدالعزيز بن مروان، فبناه لأم ولد روميه، يقال لها مارية فنسب إليها. ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص112.

(26) وهو من الحمامات العامة، بجوار حمام المذكورة وهي خطة خولان الذي حازه الوليد بن عبدالملك وتعرف بحمام صافي، وقد انتقلت إلى يد بنى الحباب. ابن دقماق ، مصدر سابق، ج1، ص105.

(27) ويعد من الحمامات العامة، كان من أقطاع مسلمة بن مخلد الأنصاري، ثم صار إلى بنى أبى بكر بن عبدالعزيز بن مروان من قِبل أمهم. ابن دقماق ، مصدر سابق، ج1، ص106.

(28) ويعد من الحمامات الخاصة، وهو بدار سهل التي فيها السراجين وحمام سهل كان لعبد الله بن عمرو بن العاص فوهبها لابنته أم عبد الله فتزوجها عبد العزيز بن مروان فأولادها سهيلًا وسهلًا فورثاها من امهما. ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص112.

(29) حلوان وهي قرية من أعمال مصر، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل، وبها دير ذكر في الديرة، وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولي مصر، وضرب بها الدنانير، وكان له كل يوم ألف جفنة للناس حول داره. ياقوت الحموي ، أبو شهاب الدين عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي، معجم البلدان، ط2، ج2، دار صادر، بيروت، 1995م، ص٢٩٣.

(30) عزب ، خالد، مرجع سابق ، ص36.

(31) ابن تغر بردي ، أبو المحاسن جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، وزارة الثقافة، القاهرة، 1963م، ص173.

(32) الكندي ، مصدر سابق، ص48.

(33) عبده ، الأمويون و آثارهم ، مرجع سابق، ص218.

(34) وهو الخليج الذي حفره عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، فساقه من النيل إلى القلزم فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن محملة بالطعام إلى مكة والمدينة، ولم يزل على ذلك حتى ضيعته الولاة فترك وغلب عليه الرمل. ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص164.

(35) المقريزي ، مصدر سابق، ج2، ص177_ 178.

(36) أندرية ريمون ، القاهرة تاريخ حاضرة، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1994م، ص21_22.

(37) المقريزي ، مصدر سابق، ج2، ص246.

(38) عبده ، الأمويون و آثارهم ، مرجع سابق، ص208.

(39) وهو مسلمة بن مخلد بن صامت بن نيار الخزرجي الأنصاري، ولاه معاوية بن أبى سفيان إمارة مصر، ثم أضاف إليه ولاية المغرب، فقام بمصر وسير الغزاة إلى المغرب في البر والبحر. الذهبي ، مصدر سابق، ج3، ص424.

(40) عزب ، مرجع سابق ، ص149.

(41) ابن دقماق ، مصدر سابق، ج1، ص63.

(42) وهو أبى عمر عبد الله بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي، ولاه والده على صلاة مصر وخراجها في سنة 86هـ، و أقره عليها أخاه الوليد عندما بويع بالخلافة بعد وفاة والدة، وهو الذي أمر بالدواوين فنسخت بالعربية، وكانت قبل ذلك تكتب بالقبطية. الكندي ، مصدر سابق، ص51.

(43) وهو قرة بن شريك بن مرثد بن الحارث العبسي، ولاه الوليد بن عبدالملك على صلاة مصر وخراجها سنة 90هـ، فقام بها بالكثير من الأعمال، توفي سنة 96هـ. الكندي ، مصدر سابق، ص55_57.

(44) ابن دقماق ، مصدر سابق، ج1، ص63_65.

(45) الكندي ، مصدر سابق، ص57_58.

(46) المقريزي ، مصدر سابق، ج1، ص296.

(47) وهي الدار التي في قبلي الجامع وغربي الشرطة، وهي منسوبة لرملة بنت معاوية بن أبي سفيان، حيث كانوا يقولون: دار رملة، فحرفت العامة ذلك فقالوا: دار الرملة، ويقال انما سميت دار الرمل، لما ينقل إليها من الرمل لدار الضرب. البكري ، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد الأندلسي، المسالك والممالك، ج2، تحقيق: أديان فان ليوفن و أندري فيري، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1992م، ص140.

(48) ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص101.

(49) بناها عبد العزيز بن مروان في سنة 67هـ، بجوار المسجد الجامع من الجهة الغربية، وهي تدعى بسوق الحمام والمذهبة نسبة إلى قبتها المطلية بالذهب الكندي ، مصدر سابق، ص44.

(50) عبده ، الأمويون و آثارهم ، مرجع سابق، ص252.

(51) الحسيني ، مرجع سابق، ص541.

(52) الكندي ، مصدر سابق، ص49.

(53) وهي مصر حسن الأسواق و المعايش، إلى حماماته المنتهى ولقياسره لياقة وبهاء، وليس وفي الإسلام أكبر مجالس جامعة ولا أحسن تجملاً من أهله ولا أكثر من مراكب ساحله. المقدسي ، أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، 1991م، ص197.

(54) وهي الدار التي اختطها عمرو بن العاص للخليفة عمر بن الخطاب، بجوار المسجد الجامع بالفسطاط، فقال له عمر: انى لرجل بالحجاز تكون له دار بمضر، وأمر أن يجعلها سوقاً للمسلمين. ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص92.

(55) الشهري ، مرجع سابق، ص110.

(56) وتنسب إلى وردان الرومي مولى عمرو بن العاص، وكان من عمرو بمنزلة صاحب شرطته، ثم ولاه معاوية بن أبي سفيان على خراج مصر بعد وموت عمرو بن العاص. ياقوت الحموي ، مصدر سابق، ج3، ص284.

(57) ناجي ، عبدالجبار، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،2001م، ص227.

(58) عبيد ، طه خضر، الحضارة العربية الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ص185.

(59) والبز نوع من الثياب، وقيل متاع االبيت من الثياب خاصة، والبزاز هو بائع وحرفته البزازة، والبزه بالكسر، الستارة واللبسة. ابن منظور ، مصدر سابق، ج5، ص311.

(60) ابن عبد الحكم ، مصدر سابق، ص136.

(61) ابن دقماق ، مصدر سابق، ج1، ص39.

(62) الشهري ، مرجع سابق، ص111.

(63) إذ روى أن إمرؤ القيس يصف غارة له قائلاً:

(64) وغارة ذات قيروان *** كأن أسرابها الرعال.

(65) ابن منظور ، مصدر سابق، ج12، ص94.

(66) حمودة ، عبدالحميد حسين، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006م، ص54.

(67) وهو عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط الفهري، ولد في عهد النبوة، ولم تصح له الصحبة، وكان عمرو بن العاص خاله فشهد فتح معه مصر واختط بها، ثم ولاه يزيد بن معاوية أمور المغرب، وهو الذي بنى مدينة القيروان، استشهد في سنة 63هـ. ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ص50.

(68) مؤنس ، حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص153.

(69) الجواليقي ، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، دار القلم، دمشق، 1990م، ص483.

(70) وهو جبل طوله يومان، وبينه وبين القيروان خمسة عشر ميلاً، ومياه جارية، وفيه عمارات وحصون كثيرة بناها البربر. الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص294.

(71) المغربي ، علي بن موسى بن سعيد، كتاب الجغرافيا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م، ص35.

(72) البكري ، المسالك والممالك مصدر سابق،ج2، ص675 .

(73) وأسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس، وتعنى إقليم المدن الخمس وهي سوسة وشحات وتوكرة وبنغازي وبرقة، وهي مدن أسسها الإغريق في بداية القرن السابع قبل الميلاد، وتتميز هذه المدن بموقعها الجغرافي الغني بالتربة الخصبة الصالحة للزراعة. البكري ، المسالك والممالك ، مصدر سابق، ج2، ص649.

(74) وقد اختلف في نسب البربر، ويرجح أنهم من ولد حام بن نزح عليه السلام، وأنهم جيل قديم سكنوا المغرب عندم تناسلت ذرية نوح عليه السلام، والبربر يجمعهم جدان هما: برنس ومادغيس، ويلقب مادغيس بالأبتر، فلذلك يقال لشعوبه التر، ولشعوب برنس البرانس. الناصري ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956م، ص61.

(75) حسن ، حسين الحاج، حضارة العرب في صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،1992م، ص419.

(76) وقد عبر عقبة عن ذلك بقوله: " إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابه أهلها إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله تعالى إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام حتى أخر الدهر". ابن عذري ، أبوعبدالله محمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3،ج1، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص19.

(77) الخربوطلي، مرجع سابق، ص308.

(78) إسماعيل ، محروق، العمارة الإسلامية في كتب رحالة المغرب الإسلامي من القرن 7هـ حتى القرن 10هـ/ 13م حتى 16م، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة أبى بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، تلمسان _ الجزائر، 2018م، ص287.

(79) حيث قالوا: " نحن أصحاب إبل ولا حاجة لنا بمجاورة البحر، فتسطوا علينا الإفرنج". الناصري ، مصدر سابق، ج1، ص134.

(80) عبدالوهاب ، حسن حسني، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية، مكتبة المنار، تونس، 1965م، ص44.

(81) قال عقبة: " قربوها من السبخة فإن دوابكم وهي الإبل التي تحمل أثقالكم، فإذا فرغنا منها لم يكن لنا بد من الغزو و الجهاد حتى يفتح الله علينا، فتكون إبلنا على باب قصرنا في مراعينا آمنة من عادية البربر و النصارى. ابن عذاري ، مصدر سابق،ج1، ص19_20.

(82) قويدري: فاطمة، القيروان وعلاقتها الفكرية بمصر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولاي الطاهر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، 2014م، ص18.

(83) الوزان، الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، ترجمة: محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص87.

(84) جوهر، حسن محمد ، تونس، دار المعارف، القاهرة، 1961م، ص41.

(85) وشربهم من ماء المطر، وإذا كان الشتاء ووقعت الأمطار والسيول، دخل ماء المطر من الأودية إلى بركً عِظام تسمى المؤاجل، ولهم وادٍ يُعرف بوادي السراويل في قبلة المدينة، يأتي فيه ماء مالح يستعملونه فيما يحتاجون أليه. اليعقوبي ، أبي يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422ه، ص348.

(86) خضر ، عبدالحليم عبدالرحمن، الإسلام والمسلمين في إفريقيا الشمالية، عالم المعرفة، جدة، 1986م، ص306.

(87) وكان موضع القيروان غيضة ذات طرفاء وشجر لا يرام من السباع والحيات والعقارب القتالة، وكان ابن نافع رجلاً صالحاً مستجاب الدعوة، فدعى ربه ، فأذهب ذلك كله، حتى أن كانت السباع لتحمل أولادها هاربة بها. البلاذري ، أحمد بن يحي بن جابر بن داود، فتوح البلدان، ج1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1975م، ص296.

(88) عبده ، الأمويون و آثارهم ، مرجع سابق، ص295.

(89) اليعقوبي ، مصدر سابق، ج2، ص229.

(90) زيتون ، محمد محمد ، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار للنشر، القاهرة، 1988م، ص39.

(91) ف. بارتولد ، تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، مطبعة دار المعارف، بغداد، د.ت، ص21.

(92) لومبارد موريس ، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي، ترجمة عبدالرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، 1979م، ص183.

(93) نجوي عثمان ، مساجد القيروان، مطبعة دار عكرمة، دمشق، 2000م، ص15.

(94) المرجع نفسه ، ص14.

(95) فرأى عقبة بن نافع في المنام هاتفاً يقول له: " خذ اللواء في يدك فحيث سمعت التكبير فأمشى، فإذا انقطع التكبير فأركز اللواء فإنه موقع قبلتكم" فعلم عقبة أن الأمر من عند الله، ففعل ذلك وركز اللواء عند الموضع الذي انقطع فيه صوت التكبير وقال: هذا محرابكم فاقتدى به سائر مساجد المدينة. مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص114.

(96) ابن عذري ، مصدر سابق، ج1، ص20 .

(97) الرفاعي ، أنور، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، ط2، دار الفكر، دمشق، 1977م، ص42.

(98) وهو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقيا بن عامر الأزدي، كان بمصر فوجهه معاوية بن أبي سفيان إلى إفريقية فصالح البربر وكان ذلك في عام 57هـ، ثم أمره عبدالملك بن مروان بفتح إفريقية، فخرج في جيش قوامه 40 ألف ، ففتح قرطاجنة، ثم عزله عبدالملك وأخذ كل كان عنده، وتوفي غازياً في بلاد الروم في عام 80هـ وقيل 81هـ. ابن الأبار، أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضاعي، الحُلة السيراء، ج2، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص331_332.

(99) عبدالجبار ناجي ، مرجع سابق، ص255.

(100) البكري ، المسالك والممالك ، مصدر سابق، ج2، ص673.

(101) زغلول، سعيد عبدالحميد، تاريخ المغرب العربي "تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الدولة الفاطمية" ، ج2، دار المعارف، الإسكندرية، 1993م، ص72.

(102) وهو بشر بن صفوان بن تويل بن بشير بن حنظلة، من بنى عذرة بن زيد اللات، ولي إفريقية سنة 103هـ، وظل عليها حتى وافته المنية بالقيروان في عام 109هـ. ابن أيبك، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 200م، ص33.

(103) المأجل أو الوجيل وهي الحفرة أو حوض واسع ، ويؤجل أي يجمع فيه الماء إذا كان قليلاً ثم يفجر إلى المزارع وغيرها، وماء أجيل أي مجتمع مستنقع. ابن منظور ، مصدر سابق، ج14، ص25.

(104) نويصر، حسني محمد، الآثار الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997م، ص112.

(105) أحمد فكري ، مسجد القيروان، دار العالم الإسلامي، القاهرة، 2009م، ص81.

(106) عبد الحفاظ ، عبدالله عطية، الآثار والفنون الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2005م، ص91.

(107) ناجي ، مرجع سابق، ص257.

(108) ابن الأثير، أبو الحسن عزالدين علي بن محمد بن محمد الجزري، الكامل في التاريخ، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص628.

(109) وهو أمير المغرب إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب التميمي، استعمله الخليفة العباسي هارون الرشيد على المغرب، بنى مدينة سماها العباسية، ومهد المغرب فأحبه أهلها، عاش ستا وخمسين سنة، ومات في شوال سنة 196هـ. الذهبي، مصدر سابق، ج9، ص129.

(110) البلاذري، مصدر سابق، ص230 .

(111) ناجي ، مرجع سابق، ص228.

(112) مؤنس، مرجع سابق، ص210.

(113) البكري ، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز، المغرب في بلاد إفريقية والمغرب، مكتبه المثنى، بغداد، د.ت، ص25_26.

(114) المقدسي ، مصدر سابق، ص216.

(115) مؤنس، مرجع سابق، ص210_213.

(116) الشهري، مرجع سابق، ص121-120.

(117) صبرة بالفتح ثم السكون ثم راء، وهي بلد قريب من القيروان وتسمى بالمنصورية من بناء مناد بن بُلكين، سميت بالمنصور بن يوسف بن زيري بن منا الصنهاجي، كما قيل أن الذي بناها إسماعيل بن أبى القاسم بن عبيد الله سنة 337هـ واستوطنها في نفس السنة ، ياقوت الحموي، مرجع سابق، ج3، ص444.

(118) البكري، المغرب، مصدر سابق، ص25.

(119) الحميري ، محمد بن عبدالمنعم، الروض المعطار في خير الأقطار، ط2، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، ص144.

(120) دبوز ، محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، ج2، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010م، ص129.

(121) قرطاجنة أو قرطاج وهي من بلاد الإفرنجة القديمة وتقع وراء بلاد القيروان، وبينها وبين تونس عشرة أميال أو نحوها ومرساها واحد، فتحها المسلمون بقيادة حسان بن النعمان في خلافة عبدالملك بن مروان الأموي. الحميري ، مصدر سابق، ص462.

(122) إفريقية والمراد بها حين إذ الإقليم الذي يمتد من الحدود الغربية لطرابلس الغرب شرقاً وإلى بجاية غرباً، ويشمل مناطق تونس الحالية وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر، وكانت قاعدته مدينة القيروان، وسمي بالمغر الأدنى لأنه أقرب بلاد المغرب إلى دار الخلافة في الشرق. نهلة شهاب أحمد ، المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2003م، ص22.

(123) الخالدي ، أحمد أرشيد، المدن والآثار الإسلامية في العالم، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن _ عمان، 2009م، ص123.

(124) ياقوت الحموي،مصدر سابق، ج2، ص60.

(125) والحقيقة أنهم أرادوا بهذا العمل أرادوا أن يكسبوا الوقت فاحتالوا على حسان بذلك الطلب في الوقت الذي وضعوا فيه خطة الانسحاب والهروب من المدينة عن طريق سفن قد أعدوها مسبقاً، فلما علم حسان بذلك دخل المدينة وأحرق بعض وحداتها العمرانية وخرب البعض الآخر منها، ثم ابتنى مسجداً وأسكن جماعة من المسلمين بها، ثم عاد إلى القيروان. ناجي ، مرجع سابق، ص283.

(126) الخالدي، مرجع ساق، ص123.

(127) ناجي ، مرجع سابق، ص284.

(128) وقيل أنه سمى بالزيتونة ليكون نوراً يضاء به إفريقيا، لقوله تعالى: ﴿ ... يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ ...﴾ سورة النور الآية 35. النعاس ، وفاء، الطلبة الجزائريون الزيتونيين والحركة الإصلاحية الجزائرية 1900_1954م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013_2014م، ص37. وهنالك رواية أخرى تذكر أن الجامع كانت به زيتونة حول صومعته فسمي بها. بن الخوجة ، محمد، صفحات من تاريخ تونس، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص283.

(129) دبوز، مرجع سابق، ج2، ص218.

(130) نقولا زيادة، الأعمال الكاملة مدن عربية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2003م، ص65.

(131) سالم ، السيد عبدالعزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 1999م، ص163.

(132) الشهري، مرجع سابق،ص74.

(133) الخالدي، مرجع سابق، ص172.

(134) ناجي، مرجع سابق، ص289.

(135) البكري، المغرب، مصدر سابق، ص40.

(136) الخالدي، مرجع سابق، ص130.